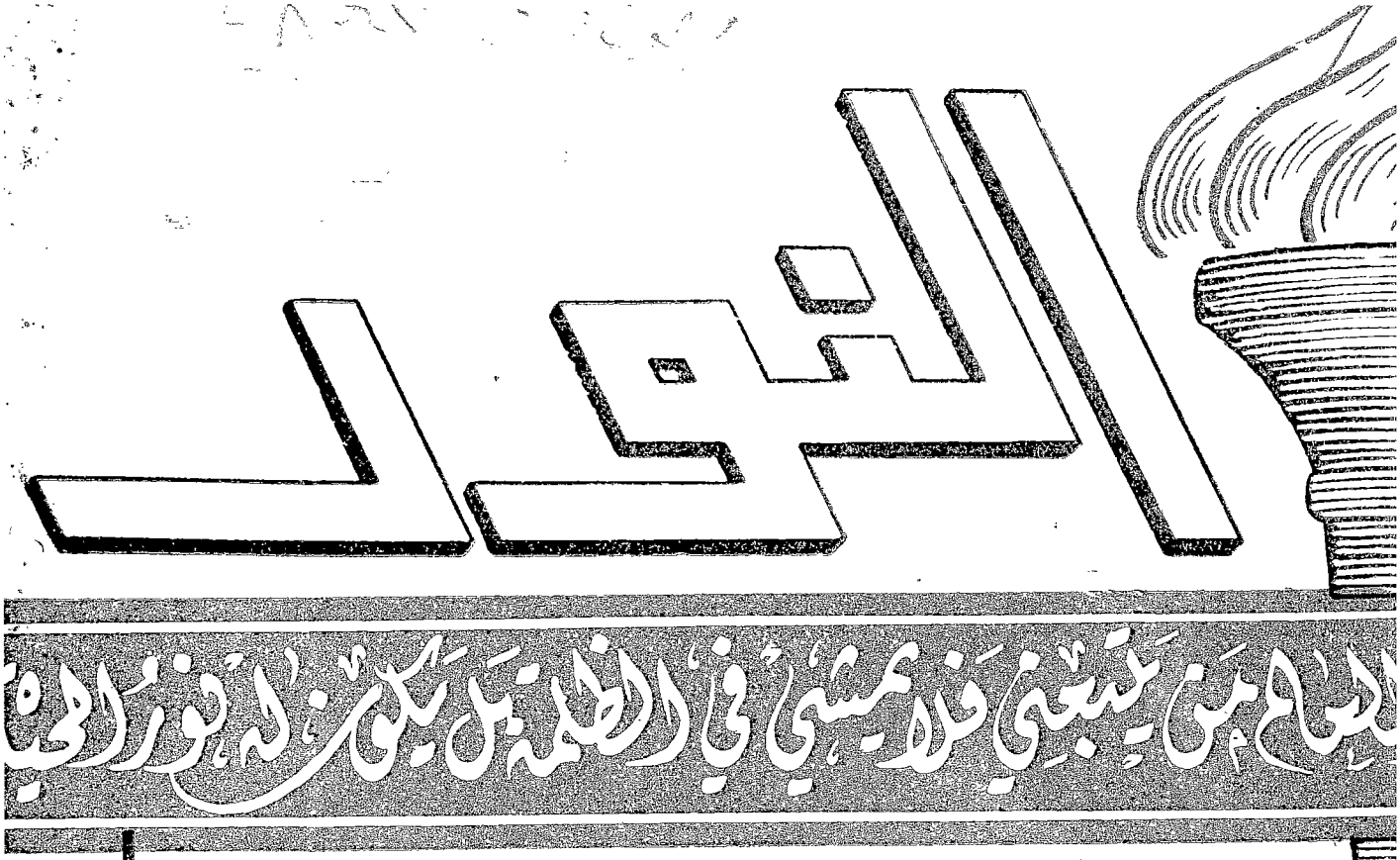

تصدرها

حركة الشبيبة الارثوذكسية

محتويات العدد

الفريسيون
بقلم عادل ابي فرح
التجسد
بقلم بول افدوكيموف
سر التدبير الالهي، او مشيئة الله للانسان
بقلم ادوار لحام
لتكن مشيئتك !
بقلم الآنسة اسبيرانس بندلي
حياة القديس اينوشنسيوس واعماله
مكتب الثقافة العام
اخبار العالم المسيحي
بقلم جورج خضر

النور

أنا نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة

حركة الشبيبة الارثوذكسية

العدد الثاني ❀ شباط ١٩٤٧ ❀ السنة الثالثة

الفريسيون

بقلم عادل الجي فرح

●

الفرق الدينية عند اليهود

كان المجتمع اليهودي قبل العهد المسيحي منقسماً الى خمس فرق : منها الغيورون والهيرودسيون وتتغلب عليهم صبغة سياسية في اكثر مظاهرهم . ومنها الفريسيون والصدوقيون والاسانيون وهذه الفرق تحمل طابعاً دينياً خاصاً وتتجه كل منهـــا اتجاهاً مختلفاً في النظر الى العقائد والطقوس ولكنها بالاجماع كانت تعلم العقائد القويمة الحقة ولذلك لم تحمل نزعة الهرطقات او الشيع بالرغم من تبـــاين الآراء والاتجاهات بينهـــا . ونستعرض اولا بصورة عامة موجزة خصائص هذه الفرق الثلاث الاخيرة الى ان نعود بالتفصيل الى الفريسيين موضوع هذا المقال .

كان الفريسيون يقولون ان بعض الاشياء ، وليس كلها ، هي من عمل القدر . اما الامور الاخرى فترجع في مصيرها الى ملك ارادتنا . ويقول الاسّانيون ان القضاء هو السيد المطلق في كل شيء ولا يكون امر في الناس الا بمشيئته وحكمته .

اما الصدوقيون فيرفعون عمل القدر ويرون ان الانسان علة اعماله شرّها وخيرها .

نشأة الفريسيين

ظهر الفريسيون لاول مرة في التاريخ على ايام الاضطهاد السوري وكانوا حينئذ يؤلفون هيأة تحت اسم « هسيديم » وهذه الكلمة بمعناها الحرفي تفيد « الاتقياء » لانهم كانوا محافظين على الايمان الاسرائيلي والشرع الموسوي . ومن بين هؤلاء اخذ يهوذا المكابي خيرة جيوشه التي جاهدت ببطولة في سبيل الرسالة الالهية التي كانت موكولة اليها . اما عندما وضع السوريون على رأس الفريسيين القيّم رئيس الكهنة ظن هؤلاء ان رسالتهم قد نجت من المهاجمات وابوا ان يتابعوا النضال رجاء الاستقلال الوطني فقط . ولم تمضِ فترة قليلة من الزمن حتى علموا خلالها انهم كانوا موضع خدعة فعادوا الى القتال تحت امرة يهوذا . ولم يعرف التاريخ الفريسيين باسمهم هذا الا على عهد يوناثان ولا يشك احد في كونهم « الهسيديم » انفسهم الذين رأيناهم فيما سبق ولكن كيف تبدل اسمهم وماذا حدث ؟ لم يظهر الفريسيون ابان الاضطهاد السوري ولم نرَ لهم وجها في ذلك التاريخ كمؤسسة معروفة وذلك حتى عند يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي الكبير الذي تكلم عن الفرق الدينية الثلاث . ولئن تعرض يوسيفوس اليهم عند بحثه عن الاضطهاد السوري الا انهم ما كانوا يشكلون انذاك منظمة قائمة اي ان الفريسية نشأت اما الفريسيون فما يزالون حديثي العهد يجهلهم المجتمع الى ان برزوا على المسرح في عهد يوحنا هرقان (١٣٥–١٠٤) كمنظمة دينية ذات صفات خاصة تجعلها مميزة معروفة بلون من الحياة الدينية والاجتماعية تتفرد به .

المذهب الفريسي

فرض الفريسيون على الشعب نقاطاً شرعية غير منصوص عنها في القانون الموسوي بحجة انها تنحدر من تراث الآباء وتصدوا امام الكل متشرعين حاكمين في امر القانون مستمدين سلطانهم من تقليد القدماء دون الولاء للشعب او رئيس الكهنة : تقليد في فهم الناموس وفي كيفية تطبيقه في الاحوال التي لا ينص عليها وكان على رأسهم معلمون لهم سلطانهم على الناس ، اصحاب وجوه وجيهة ، شخصيات دينية لامعة انحازت عن العوام من الناس وتكتلت على بعضها ناظرة الى الباقين نظرة احتقار واشمئزاز ولذلك دُعوا الفريسيين اي المنفرزين او المنفصلين

لانهم انفصلوا عن الناس بتفكيرهم وآرائهم الدينية . هكذا اطلق عليهم هذا الاسم فارتضوه بالنهاية واعتبروا شرفاً لهم ان يكونوا منفردين منعزلين عن سواد الناس مع العلم انهم احتفظوا لانفسهم بلقب « قديسين » كما في مزامير سليمان حيث يدعون بذلك .

ان كل ما ورد دليل بيّن على ان الفريسيين مثلوا مدرسة دينية صرف ولم يكونوا حزباً ديموقراطياً معارضاً لحزب الصدوقيين الارستوقراطي بالرغم من بعض الظروف والظواهر التي اتهمتهم بهذا الموقف ، كما انهم لم يكونوا ذلك الحزب القومي العنيف تجاه حزب متأهب ان يتعاهد مع الاجنبي اذ ان بعض الفريسيين انفسهم تصادقوا مع الاجنبي عندما اعتقدوا انهم يخدمون في ذلك مثلهم العليا . اراد المؤرخ يوسيفوس الذي انتسب الى الفريسيين ان يصورهم كاصحاب مدرسة فلسفية اذ انه شبههم بالرواقيين حتى يغري الرومان بان الشعب اليهودي قد اشتغل بالفلسفة مثل اليونان واتقنها . اما الحقيقة الراهنة فهي ان الفريسيين جمعية تتباهى بمعرفة الشريعة الالهية في نصها وتقليدها انشئت حتى تحافظ على هذة الشريعة حرفياً وتفرضها على الآخرين . ويشهد الواقع انهم يجمعون الى جانب معرفتهم العميقة للشريعة والتقليد رغبة المحافظة مبدئياً على جميع النقاط الشرعية كبيرة كانت ام صغيرة وتطبيقها على مختلف تفاصيلها وتعددها ، وهذا شيء حسن لا ينكر عليهم مع النظر الى درجة كل مسألة ومبلغها من الاهمية فتقدم الواجبات الدينية الاساسية على القضايا الثانوية كما تؤثر المحبة على اقامة شعار ديني ما ولا بد لهم ان يستنبطوا مواد جديدة لم يأت على ذكرها الناموس الموسوي حتى يحكموا في الشؤون الحديثة التي كانت تتولد يوماً بعد يوم فيجتمع المعلمون الليالي الطوال في التنقيب والجدل الى ان يتفقوا على وضع نقاط قانونية وهذا هو مبدأ الاجتهاد . اما اليهود فكانوا يعتبرون مستحيلاً وجود شرع يستوي والشرع الموسوي فأخذ الفريسيون على انفسهم ان يضعوا على انفسهم ان يضعوا اجتهاداتهم موافقة كانت ام مغايرة للنص الاصلي على مستوى قوة هذا النص نفسه . وهناك خطر كبير وقع به الفريسيون مع الاسف مصدره هذا الكبر والشموخ في الايمان والعمل الذي حدا بهم الى اعتزال الناس واحتقارهم .

القضايا الفريسية الثلاث

اهم القضايا التي تمسكوا بها ثلاث : المحافظة على شعائر السبت ، النجاسة الشرعية ،

عشر الكهنة اللاويين .

اخذ الفريسيون يفسرون الكتاب تفسيراً لا يحتمله في الاصـــل ويستنبطون للكلمات معاني غريبة حتى توفرت لديهم سنن كثيرة وموانع معقـــدة جداً فرضوا احترامها على الناس يوم السبت ومعرفة القليل منها يدل كم كانت فارغة من الروح الدينية الصحيحة بعيدة عن العقل ينفر منها الذوق . مثال ذلك انه كان محرماً اكل بيضة بيضت يوم السبت او ثمرة سقطت من الشجرة في هذا اليوم . لا بد ان نلاحظ ان الامساك عن هذه المحرمات الدقيقة فوق طاقة العوام وهذا ما ادى الى جعل الفريسيين المغتاظين من خرق هذه السنن في صف منحرف عن المجتمع .

وفيما يتعلق بالنجاسة الشرعية فقد اطلقوا عنان الخيال في زوايا الحياة وتعاريجها يخترعون وساخة هنا ويكشفون عن قذارة هنالك وكل هذا كان يزاد على الاشياء التي انهى عنها الشرع الموسوي : في المآكل والامراض والجثث والحمامات وادوات الاستعمال اليومي ... ويظهر انهم اساؤوا فهم الكتاب حينما تحدثوا عن النجاسة اذ ان هذه الكلمة التي كثر استعمالها في التوراة ما كانت تفيد دائماً معنى النجـاسة التي انهى عنها الناموس . فالكتاب لم ينه عن كل هذه النجاسات انما اوصى بالتطهير اذ لا بد من تحمل بعض الاوساخ عند مزاولة عمل محلل شرعي دون ان يتحمـــل الانسان خطيئة ولو صغيرة . فكان الرجل القديس منهم يخشى ان تنتقل اليـــه العدوى بمجرد مساس الذين لم يتطهروا وزيادة في الحذر كانوا يشكون بطهارة كل انسان لم يمتهن القداسة وهنا وقع الفريسيون في انحراف كبير عن الكتاب عندما اعتبروا القداسة الدينية بالاعتزال عن الناس وواجباً لاحتقار النجسين .

بعـــدما رجع اليهود من مصر اقتسموا الاراضي فيما بينهم دون ان يتركوا للطغمة الكهنوتية قسماً فيها . مبدأ عجيب غريب اذ ان الله كان وحـــده نصيب الكهنة وكان على الشعب ان يوافيهم بحاجتهم ومن هنا نشأت ضريبـة العشر على محصولات الارض . اما الفلاحون فكانوا يتغـافلون احياناً عن دفع الجزية ولا سيما وقد تزايدت الاشياء التي فرضت عليها الضريبة بعد ابحاث الفريسيين واختراعاتهم العقيمة فبلغ قلق الفريسي على نفسه اشده حتى كان يتساءل اذا جاز له استهـلاك بعض الخضار التي لم تدفع رسومها وتجاوز هذا القلق حده في ضمـــيره لان الشرع الموسوي امره بدفع العشر الذي يترتب عليه وحسب دون مراقبـة ما يفرض على غيره من الناس سواء أدفع ام لم يدفع . وظل الفريسيون على هذه الحال يترقبون

انفسهم حتى ظهروا في المجتمع كهيئة خاصة ذات ضمير دقيق حساس لا تنسجم مع البيئة وتصطدم ابداً مع غفلة الناس واهمالهم .

اتجاهات اخرى وموقف المسيح من الفريسيين

وقد دعيت العامة « امها ارتز » *Am-ha-aretz* اي الفلاحين انما تباينت الآراء في معنى هذا الاسم فنعتمد هنا رأي الاب لاغرانج الذي يقول : هل «الامها ارتز» هو الفلاح الذي لا يدفع ما ترتب عليه من الضريبة ؟ ولكن يمكن ان يتخلف المدني عن الدفع ايضاً وليس « الامها ارتز » رجلاً معدماً لان الغني يمكنه ان يخالف قانون الدفع كذلك ، اذاً هل هو رجل غبي عن الشرع يجهله ؟ نعم لان الفريسي يقول : « الذي لا يدرس الشرع لا يعمل به » . فالرجل الجاهل الذي لا يدرس الشرع لا يحسن العمل بموجبه فالجهل اساس الشر والجاهل يجهل ولا يعمل والمعلم الفقيه يعلم ويعمل ويتحد مع رفاقه « المتكتلين » ويقال لهم « خبرين » بالعبرانية وكل من خرج عنهم دعي جاهلاً اي « امها ارتز » ومن اتقن العلم وتفقه به جاز له الانتماء اليهم وقد بلغ عدد لذين شكلوا الخاصة في هذه الفرقة ستة آلاف دون بقية المنتسبين اليهم والانصار وليس بوسعنا الا ان نلاحظ الخلاف بين هذا المجمع الفريسي والحركات المسيحية الحقة اذ ان المسيحيين في جمعياتهم يسعون لنشر المحبة القوية الفعالة التي تشرك القوي مع الضعيف والغني مع الفقير والعالم مع الجاهل وتصهرهم في كأس واحدة قلبها ومادتها المسيح دون تمييز او ايثار للعلم وغيره ... بينما ترى الفريسي يتعرض بصورة خاصة الا يبتاع من « الامها ارتز » الجاهل ويخشى مجانبة الرعاع فينفرد بمجتمع يعتبره نسيجاً لوحده مقتمصاً كبرياءه محافظاً على تعنته يحتقر حتى الفقيه الذي لا ينتسب الى جماعته . وكان من شديد دعوتهم للمعرفة الدينية ان اصبح العلم غاية اخيرة في نفسه والطريق الوحيد للتقدم الروحي واكتساب البر حتى كاد الدين الداخلي الذي يحيا في قلب الانسان ينسحق تجاه العلم النظري واصبحت الفضيلة علماً وصناعة يتفرد بها العلماء . وقد وقف السيد المسيح يقول لمثل هؤلاء الحكماء المتكبرين : « وانت يا كفرناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية ... احمدك ايها الآب ... لانك اخفيت هذه عن الحكماء والفهماء واعلنتها للاطفال » (متى ١١ : ٢٣ و٢٥) ويظهر مما جاء في العهد الجديد ان الفريسيين نظروا الى المسيح « كامها ارتز » لانه كان يرافق العشارين والخطاة (مرقس ٢ : ١٦) ويصنع ما لا يحل في السبت (مرقس ٢ : ٢٤ و٣ : ٢-٦)

ويهمل تقاليد التطهير (متى ١٥ : ١ و٢) ولا يحافظ على الصيامات التي اضافهـا الفريسيون على الناموس (مرقس ٢ : ١٨ و١٩) .

العقـائد

اما اذا انتقلنا الى حقل العقائد فنرى بخلاف ذلك ان المسيح يوصي باحـترام احكام الفريسيين عندما يفسرون الشرع الموسوي (مرقس ٢٣ : ١ و٢) والواقع انهم اشتغلوا كثيراً في توضيح العقائد ووضعوها في مفهومات لاهوتية متقدمـة في روحيتهـا .

ان نظرتهم في علم الله السابق تتلخص في ان كل الاشياء تكون بامر القـدر ولكن للارادة البشرية عملاً فيها ايضاً لان الله رأى ان يكون القـدر والارادة البشرية متحدين بكل امر فجمعوا بين هذين النقيضين دون ان يحاولوا ايجاد حـل لاهوتي متوسط . ولهم ايمانهم في ان الارواح لها قوة خالدة ، فعقاب في سجن ابدي ان كانت على ضلالة وحياة جديدة ان كانت على هداية . ثم كانوا يعتقـدون بقيامة الاجساد ووجود الملائكة .

هذا الاتجاه القويم بالعقائد ارتاحت اليه نفوس الاسرائيليين وجعـل الفريسيين محترمين اصحاب نفوذ وسلطان يزداد يوماً بعـد يوم دون ان يكونوا رؤساء الدين الرسميين ومع انهم كانوا يظهرون للشعب احتقاراً وازدراء فان الصدوقيين انفسهم كانوا يظهرون الرضا عن احكامهم خوفاً من غضب الشعب .

الختـام

اذا نظرنا الى الفريسيين الحكماء لاهوتيين نرى انهم حافظوا على التراث الديني ابان الانحطاط الذي ألمّ باليهودية في القرنين والاول والثاني للميلاد وذلك بتمسكهم بالناموس الموسوي دون ان يتركوا منه حرفاً واحداً ومحافظتهم على الشعلة الدينية التي اخذوها عن الآباء ، ومن هذه الناحية كانوا يمثلون الفكر اليهودي المتقـدم . اما اذا نظرنا اليهم في ابحاثهم عن الطقوس نجد انهم توغلوا في نظريات حرفيـة متشعبة معقدة وخرجوا في ذلك عن مفهوم الكتاب الحقيقي .

التجسد

بقلم : بول افدوكيموف

— ٢ —

٢ — الاساس العام للعلاقات بين الله والعالم

بفعل الخلق صار للاله المطلق علاقة ونسبة مع خليقته واصبحت صيرورة هذه الخليقة حقيقة عنده بقدر ما يشترك هو بحياة العالم ويتحقق هذا الاشتراك على وجهه الاكمل في التجسد . اما العلاقة بين العالمين عالم الله وعالم الانسان فيعبر عنها بلفظ *synergisme* او التعاون وفي المستوى الكياني ان يوجدا معاً وبالتبادل لان ثمة الآب وولده اي الانسان وذلك بواقع التبني .

ظهر العالم في الزمان ولكنه ظهر ليوضع في الابدية ولم يصدر هذا الظهور عن ارادة الهية متحكمة لا مبرر لها ولكن المخلوق يحمل في نفسه منذ نشأته اساساً موضوعياً لوجوده وقد اعد ليحوي في نفسه المضمون الالهي وكما يقول آباء الكنيسة : « لم يخلق العالم الا بغية ان يصبح الكنيسة » ، « ما هو فوق هو تحت ايضاً » . وما العالم سوى ثالوث مقلوب هو صورة الله معادة ومعكوسة على سطح هو خارج الله وهو في حقيقته الاخيرة ظهور الهي معين ليصير الوحدة الكلية والصورة المصغرة الجوهرية لوحدة الطبيعة الالهية التي هي الوحدة الكلية المطلقة . ولهذا فليس العالم اتفاقياً ونتيجة الصدفة . فان ظهر في الزمان فهو في فكرته ورسمه المثالي وفي الفكر الالهي ازلي مع الله وهدف العالم الاعلى يقتضي عناية الله وتوسطه الدائم . وبفضل السببية الروحية التي هي اسمى من السببية التجريبية فالعالم في حالة الصيرورة تحقيق لصورة الله عبر امكانياته المختلفة وهو متمم للضرورة بحرية ، حر في طرقه محدود في مضمونه لجهة سيره نحو الآخرة . ونتفهم من هنا صفة النبوات غير الشرطية بالنسبة الى الهدف النهائي والشرطية بالنسبة الى طريقة تحقيقها . قال ارمياء النبي : « اني بغتة اتكلم على امة وعلى مملكة لاقلع واهدم واهلك . فان رجعت تلك الامة عن شرها الذي من اجله تكلمت عليها فاني اندم على الشر الذي فكرت

في صنعه بها ، وبغتة اتكلم على امة وعلى مملكة لأبني واغرس ، فان صنعت الشر في عيني ولم تسمع لصوتي فاني اندم على الخير الذي قلت اني اصنعه اليها » (ارميا ١٨ : ٧ — ١٠) .

وعلاوة على اعلان الله فيما يختص بالخليقة نفسها فالعالم مخلوق لقصد اشراك الآب مع ابنه الانسان ويبدأ التاريخ المقدس بهذه الشركة الفردوسية واساسها دائماً هو صورة الله . فالله ينظر ذاته في الانسان ويظهر له ويكلمه بكلمته ويوصي له بروحه . وكل ظهور الهي هو اعلان الآب بالابن والروح القدس . ولكن ثمة ايضاً ظهور مجد الله الذي هو ظهور الطبيعة الالهية وصورتها هي صورة الطبيعة المخلوقة . وحقاً ان هذه الموافقة بين الاصل والنسخة وبين المثال والصورة هي التي تعطي الانسان طريقاً الى مشاهدة الله (موسى ، اشعياء ، حزقيال) ومجد الله هو ظهور وهذا المثال تحت شكل انساني كانسانية مطلقة سماوية . وهكذا في مشاهدة حزقيال : « وفوق الجلد الذي على ارؤسها شبه عرش كمرأى حجر اللازورد وعلى شبه العرش شبه كمرأى بشر عليه من فوق . ورأيت كمنظر النحاس اللامع في داخله عند محيطه كمرأى نار من مرأى حقويه الى فوق. ومن مرأى حقويه الى تحت رأيت مثل مرأى نار والضياء يحيط به ومثل مرأى قوس الغمام في يوم مطر كان مرأى هذا الضياء من حوله . هذا مرأى شبه مجد الرب ولما رأيته خررت على وجهي وسمعت صوت متكلم » (حزقيال ١ : ٢٦ — ٢٨) .

وكذلك في دانيال « ورأيت في رؤى الليل فاذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء فبلغ الى القديم الايام وقرب الى امامه وأوتي سلطاناً ومجداً وملكاً . فجميع الشعوب والامم والالسنة يخدمونه وسلطانه سلطان ابدي لا يزول وملكه لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ — ١٤) . واخيراً في يوحنا : « لم يصعد احد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن البشر الذي هو في السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) .

٣ — الانسان المطلق والابدي في الله المتجسد

« ... بل بدم كريم دم حمل لا عيب فيه ولا دنس وهو المسيح الذي عرف سابقاً من قبل انشاء العالم وانما اعلن في الازمنة الاخيرة لاجلكم ... » (١ بطرس ١ : ١٩ — ٢٠) .

« ... تنطق بحكمة الله في السر بالحكمة المكتومة التي سبق الله فحددها قبل الدهور لمجدنا » (١ كورنثوس ٢ : ٧) .

« اذ اعلمنا سر مشيئته على حسب مرضاته التي سبق فقصدها فيه لتدبير ملء الازمنة ليجمع ويجدد في المسيح كل شيء ما في السماوات وما على الارض في المسيح » (افسس ١ : ٩ — ١٠) .

« واوضح للجميع ما تدبير السر الذي كان منذ الدهور مكتوماً في الله خالق الجميع لتعلم الآن حكمة الله المنوعة لدى الرئاسات والسلاطين في السماويات بالكنيسة على حسب قصد الدهور الذي اجراه في المسيح يسوع ربنا » (افسس٣ : ٩—١١).

« وسيسجد له جميع سكان الارض الذين لم تكتب اسماؤهم في سفر الحياة للحمل المذبوح منذ انشاء العالم » (رؤيا ١٣ : ٨) .

ان هذه النصوص المذكورة صريحة مآلها ان الفكرة الالهية والقصد الموضوع منذ البدء بالمعنى المطلق قبل ظهور العالم هو اساس العالم وهدفه اي ان العالم خلق لاجل التجسد . ولكن التجسد هذا في كل سعة القصد الالهي يفيض عن الخلاص ويتجاوز المظهر الخلاصي ويتعلق اصلاً بمحبة الله ورغبته في تحقق ملء صورته على مستوى الخليقة .

« الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا » وهذا تمييز لا تكرار باطل . ففي البدء القصد التام من التجسد هو ملء الانسان وغايته و كماله وتألهه المطلق ثم ينتج المظهر الخاص الذي هو خلاص الانسان الساقط في الخطيئة وقد عبر بولس عن هذه الفكرة السائدة حيث قال : « لتدبير ملء الازمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الارض في ذاك » (افسس ١ : ١٠) . ليس الخلاص سوى اداة انه اهم شيء عند الخاطىء الذي ينظر من اسفل ولكن ان نظر اليه من فوق فانه الطريق المؤدية الى رؤيا اليوم الاخير الى استعلان المجد الى الملء . ويلح كثير من آباء الكنيسة على هذا الامر وهو ان التجسد يسود فعل الخليقة حتى لو لم تكن خطيئة وهو اليوم الثامن من الخليقة التي يتممها الله بيسوع المسيح الانسان المطلق الذي يبلغ فيه الانساني قامته الكاملة ويتحد جوهرياً مع الالهي .

والتجسد حادث لا يقلب التدبير الانساني وحسب بل التدبير الالهي ايضاً . ومن جهة ثانية فهو مرتبط صميمياً بتركيب الانسان حتى انه يظهر تجريبياً غير شرطي على الاطلاق وغير مسبب بصدفة الخطيئة ونجاح تجربة الحية . فالتجسد لا

سر التدبير الالهي

او مشيئة الله للانسان

ما هي مشيئة الله للانسان ؟ بوسع المسيحي ان يفهم دوره في هذا الكون وسر طبيعته ومصيره وسمو عودته من خلال كتاب الاعلان الالهي . ويكشف لنا الاصحاح الاول من رسالة بولس الرسول الى اهل افسس عن هذا السر وهو يحوي بعشرين سطراً ما لم تستطع حله مجلدات الفلاسفة .

ومرادنا في هذا الشرح استخلاص اهم الافكار الموجودة في هذا الاصحاح وهي ترسم تاريخ الانسان ومصيره منذ « قبل تأسيس العالم » حتى « ملء الازمنة » وحلول « الدهر الآتي » .

لا يستطيع احد ان يدعو نفسه مسيحياً ما لم تتمركز فيه بصورة لا تتزعزع هذه الافكار الاساسية ، لانها هي اسس حياته . فمتى دخلت قلبه شعر ببهجة فائقة لانه نال « روح الحكمة والاعلان » .

تشرطه الا علاقة الأب مع ولده الانسان وهو اسطع صورة لمحبته . صورة موجهة نحو الله ونحو الانسان فالمسيح هو ملتقى سرين وولادتين . منه يصير الله انسانا والانسان الهاً بالنعمة فيروي الله عطش الانسان والانسان يروي عطش الله . فعلان يتقاطعان فيولدان الالتقاء . وفي هذا يقوم سر المحبة « المكتوم في الله منذ الدهور » حسب بولس الرسول والمكتوم حتى عن القوات السماوية الله اعطى ذاته كلياً للعالم حتى ان ضحى بابنه الوحيد لكي لا يخلّص العالم فقط ، الامر الذي هو في طاقة الله الكلي الاقتدار ، بل ليصل الى هذا الكمال الذي يتجاوز اقتدار الله الكلي وهو التثبيت الحر للعالم في المحبة الالهية وجواب محبته الخاصة الحر وفي هذا يرتفع العالم والنعمة تدعمه الى قامة المسيح الكاملة . « فالكلمة صار جسداً » والتجسد يشق في اساسه وهدفه حدود الخلاص ليأخذ محلاً في مستوى التأله الاكثر جامعية من الخلاص .

— يتبع —

١ ــ لله مشيئة مقدسة في خلقه الانسان

تتكلم الرسالة عن سر مشيئة الآب (عدد ٩) وعن مسرة مشيئته (٥) . لان الله قد اختارنا اختياراً (٤) وذلك ازلياً قبل تأسيس العالم اذن هنـــاك دعوة (١٨) وسابق تعيين (١١) وميراث (١٨) معد لنا .

هذه المشيئة هي ان يشترك الانسان في الحياة الالهية حيـــاة الثالوث القدوس الفائقة الغنى. دعوتنا ان نُجعل اولاداً بالتبني (٥) وورثة فنصبح « اهل بيت الله.. غير غريبين عن حياة الله » .

تلك المشيئة ازلية هي فكرة الله خارج الزمان ولكنها تصير فعـلاً وحدثاً في الزمن ، وهي ايضاً مشيئة مشتركة للاقانيم الثلاثة بيد ان في تطبيقها تتميز الاقانيم بخواصها كما سيظهر في ما يلي .

٢ ــ هذا التصميم يتحقق في المسيح وبالمسيح

خلق الله الانسان ليحقق فيه مسرة مشيئته ولكن آدم خالف هذا التصميم بملء حريته . فاعدم الانسان فيما بعـــد امكانية اتباع الدعوة التي اليها دعي . فكانت مرحلة اولى في تاريخ الانسان .

ولكن الكلمة يتجسد (بعد مدة يتابع فيه الله سلسلة اختياراته من ابراهيم حتى العذراء) ويعود الله فيتمم ما اضمره لنا بفعل محبته . ويقطع المسيح ثلاث عقبـات كانت تفصل الانسان عن الله . اولا الطبيعة الساقطة فيحييهـا باعتناقه اياها (وهذا هو التجسد) ثم حاجز الخطيئة التي « يفتديها بدمه » (٧) واخيراً الموت الذي «ظفر عليه بالقيامة » (٢٠) .

وكانت النتيجة ان آدم الاول لم يفلح باتمام تصميم الله لانه رفضه . لكن المسيح يفتح بتجسده لنـــا الباب المغلق ويدخلنا الى طريق التأله فيكون المسيح آدم الجديد « وبكراً بين اخوة كثيرين » (رو : ٨–٢٨) . ان آدم قـد اورثنا الموت اما المسيح « ففيه يعيد الله الحياة لنا اذ انه اقامنا سوية واجلسنا جميعاً في السماويات بيسوع المسيح » (افسس ٢ : ٦) .

٣ ــ حياة الانسانية الجديدة منذ التجسد

منذ التجسد والقيامة تحيا الانسانية حياة جديدة بالمسيح وهي تسـير الى تتميم

المشيئة الازلية بكمالها تسير على طريق التأله متجهة نحو مجيء المسيح الثاني نحو العهد الآتي حيث « يجمع كل شيء فيه (١٠) ، لاجل مجده .

٤ ــ كيف تتم مشيئة الآب الازلية

أ ــ الاب هو المصدر ، يخلق الانسان ويدعوه اليه . يرسل ابنه «المحبوب»(٦) . يعطي الروح القدوس (١٣) المنبثق منه .

ب ــ تدبير الابن : ١) به قبل الزمن كان كل شيء ــ ٢) هو الذي في الزمن يحقق فداءنا ويرسم لنا الطريق ــ ٣) وفيه في آخر الزمن سيجتمع الكل لان « به ولاجله كل شيء كان » (كولوسي : ١ ــ ١٦) .

ج ــ دور الروح القدس : اولا هو روح معرفة واعلان (١٧) عن مشيئة الله الازلية وكيفية تحقيقها . ثانياً هو رجاء للمؤمنين المختتمين به بل عربون (*gage*) تحقيق هذه المشيئة (١٤ و١٥) .

د ــ قسط الانسان : ١) عليه ان يقبل بحريته هذه الدعوة ،

٢) له امكانية التقدم والنمو ، لذلك يصلي بولس الرسول كي يتقدم الافسسيون في فهم العمل الالهي وتحقيقه . ويقول ايضاً للرومانيين : اننا وارثون مع المسيح ، ان كنا نتألم معه لكي نتمجد معه ايضاً (٨ : ١٧) . على الانسان اذن ان يشترك في عمل الخلاص رغم ان هذا الخلاص نعمة مجانية نالها لنا المسيح .

٥ ــ سر الكنيسة

هي الملء حيث تحقق مشيئة الله وتكتمل . هي جسد المسيح وبيت الله حيث يفعل الروح . لذلك لنا ضمنها بهذا الروح الواحد قدوم الى الآب بذاك المسيح الابن (اف : ٢ــ١٨) اي لنا ضمنها انخراط بحياة الثالوث القدوس وهذه هي مشيئة الله الازلية وتدبير السر المكتوم في الله منذ الدهور .

ادوار لطام

لتكن مشيئتك !

بقلم الآنسة
اسبيرانس بندلي

تأمل في الاصحاح الاول من رسالة بولس الرسول
الى اهـل افسس

ها نحن واقفون امامك يا الله نصغي الى صوتك في اعماق قلوبنا . لقد اخترتنا قبل تأسيس العالم لنكون من اهل بيتك ، لا بل ابناءك . اردت ان تجعلنـــا في ملكوتك السماوي لنسبح ونبارك اسمك الكلي قدسه . اتيت الينـا باسطاً ذراعي تحننك قائلًا : « يا اولادي الصغار ، تعالوا الي » . اما الانسان فابى ان يجيب دعوتك ونسي انك خلقته من العدم ليكون له حصـة في ملكوت السموات وآثر الابتعاد عنك والانغماس في الخطيئة .

لكنك انت كثير الرحمة ، جزيل التحنن . اردت تتميم مشيئتك التي هيأتها قبل تأسيس العالم فأرسلت ابنك الوحيد لنا نحن الخطأة غـير المستحقين « لكي لا يهلك كل مؤمن بك بل تكون له الحياة الابدية » (يو ٣٠ — ١٤) . فتنازل الرب يسوع المسيح ، الذي فوق كل سلطان وسيادة ، الذي يملأ الكل بالكل ، تنازل حتى طبيعتنا الانسانية . اراد ان يتألم وان يذوق طعم الموت في سبيلنـــا نحن الذين انكرناه وانكرناك انت ايها الآب الضابط الكل . فكان لنا بدمه غفران الخطايا . وبقيامته المجيدة حطم الموت والـه الانسانيـــة . فاعطانا ان نكون قديسين وان نشارك الملائكة في الميراث « نحن اموات في الخطايا ، احيينا مع المسيح اقمتنا معه واجلستنا معه في السماويات في المسيح يسوع » .

يا رب ها نحن واقفون امامك ، بعيدون عن صوت العالم الغاش لقد عرفنـــا اقوالك وعلمنا انك تريدنا مشاركين لحياتك . نحن نقبل هـذه الدعوة ، نقبل ان نكون ابناءك (لانك لاجل طول اناتك جعلتنا احراراً باعمالنا بينما كان علينا بالاحرى ان نكون لك عبيداً) وان نحمل رسالتـك الى الذين لا يعرفونك . اصغِ الآن الى الصلاة الحارة المتصاعدة من قلوب شبابك . انت تعلم اننـــا ضعفاء وان طيف الخطيئة لا يزال شاخصاً امامنا وان الجسد سريع السقوط . مدّ نحونا يد معونتـك

حياة القديس اينوكنسيوس واعماله

رئيس اساقفة كمشاتكا وكوريلا وجزر الالوثيين ومن ثم متروبوليت موسكو

- ٢ -

نيو اركونجيل او ستيخا ، واقعة على مسافة بعيدة نوعاً ما عن جزر الالوثيين ، وهي قريبة من الارض الاميركية . جوها رطب ، تغمرها الظلمة في اكثر ايام السنة لكثافة الغيوم الملبّدة في السماء . ارض هذه الجزيرة مستنقعات وصخرية ، تغطيها طبقة من مواد مختمرة ومعفّنة .

ونيوار كونجيل واقعة على الساحل الغربي من الجزر ، وهي المركز الرئيسي

يا رب القوات كن معنا ، لان الحصاد وافر والفعلة قليلون . انظر الى الالوف من اخوتنا الذين لم يسمعوا ولو لفظة اسمك وهم منغمسون بالملذات والشهوات مع ان دم المسيح اهرق من اجلهم ايضاً . اننا نشعر بمسؤولياتنا تجاه هؤلاء الذين في ظلمة الجهل . فاعطنا ان نكون امامهم قدوة صالحة وان نصلب الرجل العتيق بصلب اميالنا وقهر شهواتنا حتى لا نكون سبباً لدينونة من ينظر الينا ، بل لكي نصير اهلاً لان نقودهم اليك قائلين : ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب . القِ نظرة التحنن على كنيستك التي هي جسد المسيح وارسل لاعضائها روحك القدوس ، روح الحكمة والقوة ، كي يسيروا دائماً في طريق الكمال المؤدية اليك انت النور الازلي ويتمتعوا بالسعادة الكاملة التي هيأتها لهم منذ سابق الدهور .

اعطنا يا يسوع الفائق الحلاوة ان نتمم في جسدنا ما ينقص لآلامك على الصليب كي نتحد معك في عمل الخلاص ونتمم مشيئة الآب ، ابينا الذي في السموات .

يا اخانا البكر ، اجعلنا اهلاً لان نحمل نورك الساطع الى اخوتنا الذين في الظلمة فنسير معاً الى المنزل المعدّ لنا من قبل تأسيس العالم لنسبح الى الابد اسمك الكلي الاكرام ، العظيم الجلال ، يا الله ، يا الهنا .

للحاكم الروسي العام للجزر الاميركية . محاطة بجبال مكسوة بغـــابات عالية من شجر يشبه السرو . ويختلف اهالي جزر بارانوف والمدعوون بكولوشاس عن اهالي الالوثية باخلاقهم ومظاهرهم الخارجية . وجوههم جميلة ، وعيونهم سوداء كبـيرة ، شعرهم اسود ، ، وقاماتهم متوسطة . من الوجهة الاخلاقيـة يسيطر عليهم الكبرياء والانانية ، وتلمس ذلك في زياراتهم للروس المقيمين هناك ، حيث يرتـــدون اجمل الملابس ... والكولوشي حقود ، اذا صعب عليه الاخذ بالثأر في حياته اورث هذا الواجب بعد المهات الى اولاده واحفاده ، وهو مشهور ايضاً بذكائه وفطنته .

كرههم للروس ، جعلهم يتأخرون في قبول الديانة المسيحية ، وعنـــدما وصل الاب يوحنا الى هذه الجزيرة عمد الى الاساليب نفسها ، اعني بدرس اللغة والعادات وبعدئذ اخذ في التبشير ، وكان يصرف في هـذا العمل المرهق صحته وقواه ، وهو يعظ ويبشر خارج الكنيسة ، ويزور ابناء الرعيـــة ويشرح لهم بوضوح الديانة الارثوذكسية ، ومن هنا اخذ الاهـــالي ، يستقبلونه ببشاشة ، ويصغون لدروسه بكل انتباه . وبما انه يعيش معهم بـــدأ يكتب لهم عظاته بلغتهم ونقل اليها ايضاً الكتب المقدسة التي مهّدت له الطريق وساعدته على نشر الارثوذكسية بسرعة فائقة في الشعب ، ولم تذهب اتعابه سدى ، ولكنه قطف من ثمارها فكان عدد الذين قبلوا الدعوة وتنصروا يزداد بسرعة مدهشة .

بقي في جزر بارانوف خمس سنين ، فكانت رسالته خلال ١٥ سنة تمتاز بتلـــك الروح الوقادة التي جعلت عمله شائقاً . كان يقوم بعمله بانتظام وهذا ما جعله يكسب قلوب المتوحشين القاسية . كان قنوعاً في حياته وفي معاملته ، فلم يجبر احداً على اقتبال سر المعمودية رغم ارادته .

فتح المدارس للاولاد ، وعلمهم في الكتب التي الفها ونقلهـا الى لغتهم خصيصاً لهـــذه الغاية . ثم اخذ يعلم الاهالي الحرف (المهن) بعد شرحه الواضح للمسيحية ، كالحدادة ، والنجارة... والتلقيح ضد الامراض السارية بهـــذه الوسيلة اكتسب عطفهم ومحبتهم ، واصبح المحسن الكبير والاستاذ الاوحد .

وقد رأى انه من الصعب حصر المسيحية في اماكن محدودة ، وكي يعمل جدياً في حقل اوسع ، فهو بحاجة ماسة الى مؤازرة بعض الكهنة ، لذلك قرر الـذهاب الى بطرسبرج لهذه الغاية ، حتى يستأذن المجمع في طبع مؤلفاته في اللغـة الالوثية .

وبعد ان قرر ذلك ، حصل على مأذونية ، فارسل عائلتـه الى اركوتسك . وفي ٨ تشرين الثاني ١٩٣٨ ترك نيوارکونجيل على ظهر باخرة ، فدامت هذه الرحلة ثمانيـة اشهر . في ٢٥ حزيران ١٨٣٩ وصل الاب يوحنا الى بطرسبرج وقدم مطاليبه للمجمع المقدس ولما علم انها سوف تتطلب وقتاً طويلاً لدرسها ، اغتنم الفرصة ، وتهيـأ للطواف على الاهالي لجمع الدراهم في سبيل نشر الايمان في جزر الالوثيين ومن اجل هذا توجه الى موسكو .

في موسكو ، قابل صاحب السيادة فيلاريت متروبوليتها ، فسرّ الحبر به لما توسمه فيه من نشاط وذكاء حتى قال : « انه رجل رسالة مقدسة » . وكثيراً ما كان الرجلان يجلسان سوية ، ويتناقشان في مواضيع تهـم الطرفين فكان الاب يوحنا يتكلم بايضاح عن حياته واعماله في بلاد التبشير ، وكان الحبر ينصت اليـه والغبطة ظاهرة على محيّاه . ومن ثم عـاد الى بطرسبرج حيث رقي الى درجة اكسرخوس . هناك وصلته اخبار جد مؤلمة ، تنبئه بوفاة زوجه ، فاثقلت هذه الفجيعة كاهله ، فنصحه المتروبوليت فيلاريت بالعودة الى الحياة الرهبانية كي لا تسيطر عليه السوداء .

ماتت امرأته فتركت له ستة اولاد . اربع بنات ، وصبيين ، ابرحوا عن باله ، فكان يتخيلهم احياناً يستنجدون به لانهم فقدوا من كان يعتني بهم . لم يذعن لرغبة المتروبوليت في العودة الى الدير ، بل قرر الذهاب الى كياف للصلاة . وعند رجوعه منها استدعاه المجمع المقدس ونصحه بالرجوع الى الحياة الرهبانية ، فقبـل ، تاركا مصيره بين يدي القدر ، اما اولاده فقـد احتضنهم وخصهم بعطفه المتروبوليت فيلاريت .

في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٠ ، دخل الاكسرخوس يوحنا فينيامينوف الدير ، فاصبح اسمه اينوشنسيوس . وفي المدة نفسها رقي الى درجة ارشمندريت . وانعقـد ايضاً المجمع المقدس لدرس مسألة تنظيم ابرشية جديدة في بلاد الاسكا .

ولكن اعترضتهم صعوبة من يكون اهلاً لها ؟ وفي اثنائهـا قدمت لائحة الى القيصر نيقولا بثلاثة اسماء وكان منهم اسم الارشمندريت اينوشنسيوس . وبعـد النظر فيها طلب القيصر تعيين الاشمندريت فاستدعاه اليه وهنأه سلفاً بمنصبه الجديد وقال له :

« قل للمتروبوليت باني ارغب ان تكون انت اسقفاً على هذه الابرشية » .

وقد تمت حفلة التنصيب في ١٥ تشرين ١٨٤٠ في بطرسبرج في كنيسة سيدة قازان الكبيرة ومن جملة ما قاله في هذه المناسبة :

« ايماني واملي كبير ، بان يد الله ترعاني بعنايتها ، وقد اعطاني قوة فائقة ، كي اقوم باعباء كبيرة ، فاطلب منكم ، انتم ايها الكهنة وحراس الكنيسة ان تذكروني في صلواتكم ، فلتكن رحمته ونعمته معي دوماً » .

في ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٤١ ترك الاسقف اينوشنسيوس بطرسبرج شطر ابرشيته الجديدة المنتخب لها ، وفي اثناء ذلك مرّ باركوتسك ، ولا تسل كم كان الاحتفال كبيراً عندما دخل مسقط رأسه فها هي المدينة تستقبل بخشوع كلي واحترام فائق وسرور لا مثيل له اول راعٍ ابصر النور فيها .

لقد نصبت اقواس النصر عند مدخل المدينة ، وكانت اجراس الكنائس تدق وقات الفرح . فزار الاسقف كنيسة البشارة التي خدم مذبحها كشماس انجيلي وكاهن رعية ، حيث اقام صلاة الشكر . وبعد مغادرته اركوتسك توقف قليلاً في مدينة طفولته انجنسكف ، فذهب تواً الى الكوخ الذي ولد فيه ، فزار معارفه القدم ، وخدم القداس الالهي ، وبعد ذلك تابع سفره الطويل مرفوقاً بتمنيات مواطنيه الحارة . اخيراً في ٢٧ ايلول ١٨٤١ بعد سفر طويل شاق وصل الاسقف اينوشنسيوس الى مدينة اركونجلسك .

بعد ان استلم مهام ابرشيته الجديدة ، اخذ في الوعظ والتبشير ، فكان يجوب الخورنيات المفتقرة الى كهنة ، وقد سام لها كهنة بعد ان نصحهم بعدم استعمال القوة والشتم . وبعد ان مضى على وصوله الى برنانوف سبعة اشهر ، ابحر منها في زيارة رعائية الى الابرشية . وقد ترك مدينة سيتخا في ٤ ايار ١٨٤٢ . وكان في كل جزيرة ، وكل قرية ، يُستقبل بحفاوة بالغة ، وفي كل مكان ينثر من تعاليمه الرسولية . حتى وصل في ١٨ آب سنة ١٩٤٢ الى مدينة باتروبافلوسك في كامشاتكا .

ويتروبافلوسك هذه ، جزيرة صغيرة ، محاطة بالجبال ، ومساكنها تشبه مساكن اقصى قرى سيبريا ، فبقي فيها اربعة اشهر منتظراً فصل الشتاء لمواصلة سفره ، اخيراً في تشرين الثاني ، قام بسفرته الطويلة من كمشاتكا . وكان في صحبته المتقدم في الكهنة كروموف ، وبمعونة عربات التزحلق على الثلج ، تجرها الكلاب ، اجتاز خمسة آلاف كيلومتراً . ويصف بعض المسافرين مشقة السفر بقولهم :

« لا يمكنك ان تتصور الصعوبات في الانتقال على عربات تجرها الكلاب ، واجتياز آلاف الكيلومترات على ارض ثلجية ، وقد تكون درجة الحرارة عشرين تحت الصفر . ومساعدة للمسافرين ، ودفاعاً عنهم عندما تهب العواصف الثلجية وتدوم عدة ايام ، بنيت لهم اكواخ صغيرة ، تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة تتراوح ما بين الاربعين والخمسين كيلومتراً في داخلها يقضون الليل ، حيث يوجد اماكن لاشعال النار للتدفئة . واحياناً يصعب على المسافرين الوصول الى احدى هذه الاكواخ قبل الليل ، فكانوا يحفرون حفرة في الثلج حتى الارض ليشعلوا النار ويقضوا ليلتهم كلها خارجاً .

في ٣ نيسان ١٨٤٣ وصل الاسقف الى اهولسك حيث قضى اربعة اشهر . خلال هذه الفترة كان يعظ الشعوب المتأخرة امثال التوتكيز ، وبعد سفرته الاولى وصل سالماً الى نيو اركونجلسك ، حيث اخذ ينظم ابرشيته ، وليست هذه السفرة هي الاخيرة من نوعها ، بل قام بثلاث مشابهة لها ، حيث كان يدرس بتأنٍ تنظيمات الخورنيات ، وتكريس الكنائس ونشر كلمة الله في الاهالي ، وحيث كانت الظروف تسمح ، كان يفتح المدارس للاولاد . وتقديراً لهذه الاعمال الجليلة ، رقي الى درجة رئيس للاساقفة وكان النجاح الباهر في نشر التعاليم المسيحية في المقاطعات النائية من آسيا واميركا بفضل جهود رئيس الاساقفة اينوشنسيوس . وبتضحيته زاد المجمع المقدس على الابرشية الواسعة الارجاء مقاطعات ياكوت ، حيث اصبح على صلة وثيقة مع الاهالي واجبر اخيراً ان ينقل محل اقامته من ستيخا الى مدينة ياكوتسك في سيبريا . فاصبحت بذلك ياكوتسك مقر ابرشيته الشاسعة . ولاقى صعوبة في ترجمة الكتب المقدسة الى اللغة الياكوتية . وكان اليوم الذي اقيمت فيه الذبيحة الالهية باللغة الياكوتية يوماً مشهوداً وعيداً وطنيا ، وقد ترأس الاحتفال رئيس الاساقفة وتلا الانجيل باللغة الياكوتية . لذلك تقدم رؤساء العشائر من رئيس الاساقفة وطلبوا منه ان يكون هذا اليوم عيداً شعبيا ، لانه لاول مرة يسمعون في الهيكل كلام الله بلغتهم .

ومع انه تقدم في السن ، فقد كان يقتحم الصعوبات ، ويعرّض نفسه للخطر غير مبالٍ ، متنقلاً بدون تحفظ في ابرشيته الشاسعة . وفي احد اسفاره اخذه الانكليز اسيراً من احد المرافىء ، لانهم احتلوا المدينة فأصبحوا في حالة حرب مع الروس . في اواخر حزيران ١٨٥٧ ، دعي نيافة اينوشنسيوس الى بطرسبرج

كي يشترك في الجلسات التي سوف يعقدها المجمع المقدس ، وفي اثناء وجوده في العاصمة ، صدر امر قيصري ، بتعيين نائبين (اسقفين معاونين) احدهما ليا كوتسك ، والآخر لستيخا . ومن ثم في بدء سنة ١٨٥٨ ترك بطرسبرج ، ولكنه قبل ان يذهب الى ياكوتسك مرّ بمقاطعة آمور التي اعيدت الى روسيا (ونهر آمور يبلغ من الطول آلاف الكيلومترات ، يفصل الحدود الروسية عن الصينية) وخلال سفرته كان يتوقف في كل مدينة على طول النهر ويقوم بالخدمة الالهية ، ومع ذلك كان متواضعا ، ويأمر احيانا بالتوقف امام احدى القرى ، فيعلم الاهالي الآتين لاستقباله . لم ينسَ احداً و كان يعلم حاجة الشعب المعنوية والروحية . سنة ١٨٦٢ اصبحت مدينة بلاكومنشانك على شاطىء آمور مركزاً له . هنا ايضا واصل اعماله التي اعتاد القيام بها سابقا ، وبذل قصارى جهده في تقوية اسس الارثوذكسية في ابرشيته . والغاية من سفراته التفتيش والتعليم ، ولكن شيخوخته وصحته الهزيلة جعلتاه يفكر احيانا بالراحة . وقد قدم استقالته طلبا للراحة ، ولكن فكرة واحدة عاودته ، وجالت في خاطره ، هي مسألة رعاية النفوس ، وهكذا استسلم للارادة الالهية . سنة ١٨٦٧ انتقل فيلاريت الى العالم الثاني ، فمن يخلفه يا ترى ؟ فعين رئيس الاساقفة اينوشنسيوس متروبوليتاً على موسكو خلفا لراعيها المنتقل الى رحمته تعالى .

ساورته الدهشة عندما اخبر بذلك ، فاخذ يدرس الحالة والموقف وقضى ليلته يصلي من اجل ابناء رعيته ، ومن فكر يوما بان هذا الولد الذي ابصر النور في احقر قرية والده فندلفت كنيستها و كثير عليه ان يخلفه ، يصبح اليوم امام احبار الكنيسة الروسية اعني متروبوليت موسكو .

ولكنه رضخ للامر ، واستعد للسفر ثانية . ومن الصعب جداً وصف الاستقبالات الحافلة والاحترامات الفائقة التي قام بها سكان مدن سيبريا اثناء مروره . هذه هي المرة الاولى في حياته يسافر بوصفه متروبوليتا وهي الاخيرة ، لان الاحبار الحائزين على هذه الدرجة لا يزورون الابرشيات النائية والاراضي البعيدة الخاضعة لسلطانهم الروحي . وكان له استقبال خاص في مسقط رأسه اركوتسك حيث اقام الذبيحة مراراً عديدة ، يعاونه لفيف من الاساقفة المرافقين والحاضرين . اخيراً عند الساعة التاسعة والنصف مساء ٢٥ ايار ١٨٦٨ ، سمعت اجراس موسكو تقرع بمناسبة وصول المتروبوليت الجديد اليها ، هناك ترأس القداس الالهي الحبري في كنيسة

انتقال العذراء ، وعندما دخل الحبر الكاتدرائية توجه بكلمة الى الشعب ملؤها الوداعة والمحبة هذا مستهلها :

« من انا كي افوه بكلام اسلافي ؟ انا الذي ترعرع في اراض بعيدة ، وامضى نصف عمره على الحدود ، وهو عامل في كرمة المسيح ، ومعلم للاولاد والمرتدّين جديداً الى المسيحية » .

بهذه الوداعة والوضاعة ، دخل المتروبوليت ابرشيته الجديدة وزاول اعماله . وكان قد جاوز السبعين من العمر تنتابه الامراض ، وضعف بصره ، ولكن نشاطه ورغبته في الحركة والعمل بقيا على ما كان عليه .

كان يدير شؤون ابرشيته بنفسه ، ويهتم بها كثيراً ، اسس الملاجىء للارامل والايتام ، والف الجمعيات الخيرية ، ورفع حالة الكهنة المحتاجين ، واتخذ تدابير جديدة في تثقيف الشعب ومع كل هذا كان يترأس المجمع المقدس ويدير روسيا جمعاء روحيا .

في ١٨ ايار ١٨٧١ وكان قد مضى على سيامته كاهنا خمسون عاما ، تقدم اكليروس موسكو باخلص تهانيهم لابيهم ورئيس كهنتهم . كثرت اعماله ، وزادت عنايته الفائقة ومقابل ذلك اخذ العمر والمرض يؤثران فيه .

اخيراً اقعده المرض وفي ٣٠ آذار ١٨٧٩ ، دعا الراهب ارسانيوس حارس البيت ، وطلب منه ان يقرأ على مسامعه الصلوات ويقيم الذبيحة الالهية . وعند الساعة الثانية بعد نصف الليل من ٣١ آذار فاضت روحه و كانت وصيته هذه :

« لا ارضى بان يرثيني احد ، فلتكن صلواتكم كثيرة ، وعناوين عظاتكم : « الله ينير سبل الانسان » .

وفي اليوم التالي ، عند الساعة الحادية عشرة صباحا ، دقّ جرس برج ايفان الكبير اربع دقات معلنا لابناء موسكو وفاة راعيهم . وفي ٥ نيسان دفن بالقرب من سلفه السعيد الذكر المتروبوليت فيلاريت في دير تروتس سيجياف .

بقيت روسيا مدة طويلة تتذكر هذا العامل الاول الذي غرس شجرة الايمان بالمسيح في حقل القبائل المتوحشة الوثنية في اراض بعيدة صعبة وبفضل قداسته تحمل المشاق و كان تواضعه مثاليا .

مكتب الثقافة العام

اخبار العالم المسيحي

سننشر في الزاوية اهم الاحداث التي تجري حاليا في العالم المسيحي وفي الدنيا الارثوذكسية خاصة ليس ليطلع القراء على وقائع مادية شبيهة بالتي يطالعونها في الصحف بل ليقفوا على تطور الجماعات المؤمنة في سائر اصقاع الارض ويعرفوا كيف تضعف وليلمسوا في نموها أثر الله في الناس وفي ضعفها اثر الخطيئة بينهم وانّا نستقي اخبارنا من مراجعها الوثيقة :من نشرات واخبار دينية تصدرها هيئات مختصة ومن مجلات البطريركيات ومجلات حركات الشباب الروحية ننقلها بتجرد لا يقودنا هوى سوى هوى المسيح . ان معرفة تطور العالم المسيحي اذا نظرنا اليها بروح الايمان لخليقة بان تنقلنا من الانكماش الذي جرنا اليه التاريخ ومن موقف الانعزال الى موقف التعرف الى اجزاء الكنيسة وتحسس مشاكلها والمساهمة في احتمال ملماتها تحقيقاً لما قاله الرسول : « احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا تموا ناموس المسيح » وسنسرد على قدر الامكان بنوع خاص اخبار الشباب الارثوذكسي الذي يعمل مثلنا في سائر اقطار المعمور لرفع شأن الحياة الكنسية وبناء عالم امثل مؤسس على نظر مسيحي في كل شيء اذ يبدو لنا ان هذه الحركات الانهاضية هي الخميرة الحقة في مختلف كنائسنا وهي التي تهيء الجيل الحاضر ليحمل نور المسيح في الكون ويكون الرابطة المتينة بين الكنائس التي تجهل بعضها بعضاً .

ليس لنا ان نعطي حكماً على المواقف التاريخية التي تقفها الكنائس ولا سيما ان مثل هذه المواقف نستطيع فهمها بالاستناد الى مبادىء عامة فحسب بل الى وقائع تجري في البلاد التي تعيش فيها الكنائس . ولكن الحوادث التي تطرأ على تاريخ كل امة يمكن ان تؤثر في مجرى حياة الامم الاخرى قاطبة . ذلك لان العالم اصبح وحدة لا تتفكك في سائر مرافق الوجود وبخاصة لان الكنائس المسيحية اخذت تسير الواحدة نحو الاخرى بمحبة واخاء حقيقيين ابتغاء الوحدة التي يريدها المسيح وهي تحاول ان تطرح جانباً الاهتمامات السياسية لتنمو نحو وحدة الايمان والعقيدة والعمل المسيحي في سبيل مملكة يسوع . ينبغي ان نتبين الموقف الذي تقفه في هذا العصر كل كنيسة من الكنائس المسيحية ازاء الاحوال الدنيوية الطارئة وتجاه بعضها

للاجنبي حتى ولا للحلفاء. وفي ذاك الوقت طاف كثير من الصحفيين الانكلوساكسون الاتحاد السوفياتي كما زار روسيا عدد من الاساقفة الانكليكان وقد اجاب آنذاك المطران اندراوس لمراسل الصحافة المتحدة : « لم تحدد السلطة السوفياتية مطلقاً حرية ممارسة الايمان وقد تقيدت بدقة بمبدأ التساهل مع كافة الاديان ».

وفي سنة ١٩٤٢ اصدر السيد سرجيوس مطران موسكو كتاباً ثميناً باربعماية وستين صفحة عنوانه « حقيقة الدين في روسيا » طبع منه خمسين الف نسخة بيّن فيه رغبته في التعاون مع الحكومة السوفياتية ولكنه صرح مع ذلك بما يأتي :

« الحق وهذا لا يخفى على احد انه تقام في روسيا دعاية مادية للدين وقد ضمن حريتها الدستور . ويعلم الكل ان النظرية المادية للدين هي نظريه الحزب الشيوعي . وطبعاً فان الكنيسة تتضايق من ذلك ولكن في الوقت نفسه ينبغي ان نقول بكل تجرد بان الدعاوة المادية للدين في الاتحاد السوفياتي لا توقف ولا تحد قطعاً حقوق المؤمنين . ان فهم الحزب البلشفي للعالم هو فهم علماني ينكر الاعتقاد بما بعد الطبيعة وبالعجائب وهو رفض التفهم الديني لظواهر الطبيعة والمجتمع .

ومع ان الحزب البلشفي يقف من الدين بصفته فهماً للعالم موقفاً سلبياً الا انه لم يعتبر قط ولا يعتبر مكافحة الدين بطرق الضغط الاداري معقولة . »

اما ايفا كوري بنت العالمة الفرنسية الشهيرة التي طافت روسيا في السنة نفسها اي سنة ١٩٤٢ فوصفت حفلة دينية اعجبت بها وقالت بان الكنيسة كانت غاصة بالناس ولكنها كتبت : لا استنتج من ذلك ان الدين المسيحي في روسيا السوفياتية حي ومحتوم . ماذا رأيت في الكنيسة ؟ شيوخاً ومساكين وجهلة ورضّعاً وكائنات محطمة الى الابد . ان هذا المشهد يثبت لي ان الشبيبة الروسية قد انفصلت عن المسيحية ... لم يعد السوفيات بعد خمس وعشرين سنة من الثورة بحاجة الى دعاية معادية للدين لان شبيبتهم متفلتة اليوم من تأثير الكنيسة واذا ربحت المعركة ضد الكنيسة فيجوز للمنتصر ان يهادن .

اما السيد بكلاكوف الذي ذكر هذه الاقوال في مقاله الرائع عن الكنيسة الارثوذكسية والسلطة المدنية في الاتحاد السوفياتي الذي صدر مؤخراً في باريس في مجلة « روسيا والمسيحية » فقال عن السيدة كوري انها لا تقدر الايمان الروسي حق قدره ونحن نميل الى الاعتقاد ان القضية ليست قضية تكرم الالحاد نحو ديانة طعنت طعنة الموت ، بل بالعكس : ان مأساة من اعظم مآسي الضمير الانساني تمثل اليوم

في الاتحاد السوفياتي ونكون سبقنا الاوان اذا جزمنا لمن من التعليمين المتناقضين : المادية او المسيحية يكون النصر الاخير . ان مظهر المسيحيين الخارجي لم يعكس يوماً القيمة الحقيقية للايمان المسيحي وقد كتب بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنثس :

هكذا فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء اسرار الله . ثم سأل في الوكلاء لكي يوجد الانسان اميناً ... اذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي ينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله ... فاني ارى ان الله أبرزنا نحن الرسل آخرين كاننا محكوم علينا بالموت ، لاننا صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس . نحن جهال من اجل المسيح واما انتم فحكماء في المسيح ، نحن ضعفاء واما انتم فاقوياء . انتم مكرمون واما نحن فبلا كرامة . الى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا اقامة . ونتعب عاملين بايدينا نُشتم فنبارك . نُضطهد فنحتمل . يُفترى علينا فنعظ . صرنا كاقذار العالم ووسخ كل شيء الى الآن (كور ٤ :١-٢ و٥ و٩-١٣).

فلا نحكم بل نلاحظ ان كنيسة مسيحية واحدة لم تجرب كما جربت الكنيسة الروسية المقدسة بين الحربين الآخرين (نص بكلاكوف). «لقد اوضحت الكنيسة الروسية سلوكها تجاه حكومة بلادها وقد اعترف البطريرك تيخون والمتروبوليت مرجيوس قبل تنصيبه بطريركاً بالحكومة السوفياتية كسلطة شرعية وتعهدا بان يقفا تجاهها موقفاً ملؤه الولاء . وقد اظهر الارثوذكسيون الروسيون في الحرب الكونية الثانية انهم يحفظون العهود وساروا في الوطنية الخالصة سير ابطال . وهكذا خطت كنيستهم خطوة واسعة في تقربها الى الحكومة تقرباً صادقاً . ولا ريب ان الحكومة قدرت حسن نيات المؤمنين وقيمتهم العددية . وقد دعمت السلطة الروحية ابناءها في القتال، وفي حالات النضال الجبار ربما تعزى غير المؤمنين بان ارواحاً نقية تصلي لاجلهم وبان كاهناً ارثوذكسياً يرفع يديه الجافتين ليل نهار ليبارك جهودهم وآلامهم » .

وامام هذه التضحيات البريئة الصادقة كان ينبغي على الحكومة باسم العدالة والوحدة القومية ان تعطف على الكنيسة وهذا ما فعلت .

جورج غضبر

— يتبع —